في ريف وقرى اليمن.. للعيد مذاق خاص وطقوس ترفض الاندثار

العيد .. سياحة على إيقاع الدفوف والأهازيج

يعشق المواطن اليمني الريف والقرى التي ينتمي إليها أو غيرها فلا تزال القرى تربط أبناءها في المدينة برابط الانتماء والوفاء.. فما إن تهل مناسبة العيد ترى الناس يحزمون حقائبهم ويجهزون أنفسهم استعداداً لمغادرة المدينة .. حيث لم يشفع للمدينة حدائقها ومغرياتها المختلفة وبما يشبه الهجرة العكسية من المدينة إلى القرية .. فالجميع يتجه نحو القرية (مسقط الرأس) ومن لم يسعفه الحظ للذهاب إلى قريته خرج هو وعائلته إلى القرى وضواحي المدينة..
لماذا هذا النزوح من المدينة خلال العيد؟! التحقيق التالي يناقش ويجيب على هذا السؤال .. نتابع:

تحقيق/ محمد قائد العزيزي

العيد مناسبة غالية وفرصة لا تعوض يتطلع إليها كل اليمنيين ويعتبر العيد مناسبة للترفيه والمحبة ولقاء الأحبة. كما ينظر أغلب الناس إلى العيد بأنه فرصة للترويح عن النفس وسياحة على إيقاع الأهازيج والبرع، والاستمتاع بهواء وجمال طبيعة القرى اليمنية..

في كل المحافظات يكون للعيد طقوس وعادات، حيث يقوم الجميع في العيد بالمعايدة وصلة الأرحام وزيارة الأقارب .. وخلال يوم العيد والأيام المتتالية للعيد يجتمع الناس في ساحة القرية لممارسة الرقص والبرع على وقع الطبول والأهازيج .. فترى أفواجاً أو مجموعات من الناس ترقص وجموعاً كبيرة تستمتع وهكذا..

يقول يوسف سرحان - موظف من أبناء تعز: يعتبر العيد مناسبة رائعة لقضاء الإجازة في القرية فهي بالنسبة لي سياحة على إيقاع البرع بالإضافة إلى أن العيد فرصة لمن استطاع أن يوفر المال للاستمتاع بهواء وبساطة الريف وجماله وكذا الالتقاء بالأهل والأرحام.. لأن العيد فرصة كبيرة لا يمكن قضاء والاستمتاع بهذه الفرحة إلا بين الأهل والأقارب وأهل القرية.

لا تشكل عامل جذب

الأخ عبدالمجيد الشامي "موظف" من أبناء حجة فيقول: للعيد مذاق آخر عند اليمنيين عموماً فتراهم من قبل العيد بأسبوع وهم يغادرون المدينة باتجاه قراهم وأعتقد أن الذين لم يغادروا المدينة ليس لأنهم لا يريدون القرية أو الريف ولكن لأسباب وقفت أمامهم ومنعتهم من الرحيل إليها لقضاء العيد والإجازة..

وعن حداثة المدينة وخدماتها يقول الشامي: لا تشكل المدينة ومغرياتها بالنسبة لنا نحن اليمنيين عامل جذب لقضاء إجازة العيد في المدينة بدلاً عن القرية .. بل على العكس تماماً فإن غالبية الناس لا يحبذون العيد إلا في الريف بين الأهل والأقارب، ولا متعة للعيد في القرية وسط طقوس العيد والبرع فهذه المناسبة لا يكون لها مذاق إلا في القرية.

زيارة الأقارب

في القرية يقوم الأشخاص بعملية المعايدة وزيارة الأقارب ويتجمع الأهل بشكل جماعي وأحياناً يتجاوز هذا التجمع القرية أي أن المعايدة تكون في الغالب من قرية إلى أخرى أو من عزلة إلى أخرى وبصاحب هذا التجمع الرقص والبرع والأهازيج وتنظم الأبيان والشعر ويستقبل أهالي القرية ضيفهم ومعايدتهم وترى الألفة والمحبة والتآلف والتقارب تحل في أيام العيد ويذهب عن الأسر والمجتمع المدني النازح إلى القرية الغربة والانزواء والفردية ويعيش الجميع وسط جمهور متآلف وكأنهم أسرة واحدة.

تشابه في المضمون

في الريف اليمني بمختلف مكوناته وتنوعاته وتنوع مظاهر المناسبات والعادات والتقاليد من منطقة إلى أخرى من حيث الأداء والأسلوب وغير ذلك إلا أن مضمون هذه المناسبة متشابهة في كل محافظات وريف اليمن حيث يبدأ الناس صباح يوم العيد بصلاة العيد في مكان واسع خارج منازل القرية ويتجمع الناس هناك وبعد أداء الصلاة يتصافح الناس ويتبادلون التهاني بمناسبة العيد، بعدها يتجه الناس لتناول وجبة الإفطار يجتمع الأهل في مكان واحد وبعدها يبدأ الناس إطلاق فرحتهم بالرقص على إيقاع الطبل والمزمار والأهازيج بشكل جماعي وأسري، وأشخاص آخرون يذبحون الأضاحي وتوزع كلاً بحسب مقدرته.

مساواة العيد

في العيد يكون الناس متساوون. الجميع يمارس الرقص والبرع الفقراء والأغنياء في خندق واحد، حلبة الرقص والفرح فلا تلاحظ إلا المدح والغناء والشعر والرقص يؤديه الجميع دون استثناء ولا تشهد أي ظاهرة من مظاهر المدينة إلا ما ندر وتكون على استحياء قد تنتقل من المدينة إلى القرية لأن مظاهر العيد في الريف تكون غالبة على أي مظهر غريب وهذا يدل على مدى الارتباط الوجداني وللعادات والتقاليد للناس وبالقرية.

بقاء الأسر في المدينة

كما يرى بعض أهالي القرية الذين أجبرتهم المعيشة وطلب الرزق في المدينة ومنعتهم من العودة إلى القرية أن العودة إليها لم تعد مرتبطة بالعيد ومظاهره ومذاقه وذلك بعد زيارة ولقاء الأهل والأسرة عموماً، بل إن الظروف المادية وصعوبة وكلفة العودة إلى القرية هي من تقف وراء بقاء بعض الأسر في المدينة ويكتفي البعض بزيارة ضواحي المدينة وحدائقها لغرض الترفيه والإحساس والتعبير عن فرحة العيد وبالذات الأطفال .. ويعوض زيارة الأهل والأقارب بالاتصال الهاتفي.

أقل فرحة

يصف الأخ محمد الجابري: العيد بالمدينة بأنه اقل فرحة عن العيد في الريف لأن المدينة ليس بها ما يجعلك تسعد وتفرح بالعيد ولا لافتقار من يستقبل العيد بالمدينة من الأصدقاء ولكن لأن العيد في المدينة يسرق من الشخص متعة النزهة والسياحة ومشاركة الأهل والأقارب فرحة العيد فضلاً عن زيارتهم كون العيد فرصة لزيارة ومعايدة الأقارب .. ويقول الظروف الاقتصادية تسرق عن كثير من الأسر والناس فرحة العيد بين الأهل وزيارتهم والعودة إلى القرية.

الحالة الاقتصادية

ويرى الأخ أحمد الواقدي أن العيد بالقرية له مكانة خاصة عند الشعب اليمني عموماً، فما إن يبدأ العد التنازلي لأيام العيد ترى الناس يتزاحمون في مواقف السيارات والباصات مغادرين المدينة إلى القرية..

ويوافق الجابري الرأي بالقول: لا يمنع أي شخص أو عائلة من السفر والعودة إلى القرية إلا الجانب المادي وتكاليف الحياة وعدم القدرة على العودة إلى القرية والعودة منها لأن العيد له معنى آخر ومذاق خاص وطقوس إلى جانب زيارة الأهل وصلة الرحم.

أخيراً:

إذاً يبقى تقاطر الناس على القرى في المناسبات هو ارتباط وجداني بالريف وبطقوس والعادات والتقاليد وقبل هذا وذاك يعتبر اليمنيون العيد فرصة لا تعوض يلتقون بأهاليهم وأقاربهم ويصلون أرحامهم .. وكذلك يقضون أيام العيد بعيداً عن تلك الأيام التي قضوها في المدينة .. أي أن الريف بالنسبة للمواطن اليمني سياحة .. على وقع وإيقاع البرع.